

## د عبد الرحمن البر يكتب: نصر أكيد مع الصبر بإذن الله



الاثنين 17 فبراير 2014 12:02 م

د عبد الرحمن البر يكتب: نصر أكيد مع الصبر بإذن الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد؛ فإن الشعوب حين تثور فإنها لا تهدأ حتى تستخلص كرامتها، وتحقق أهدافها، وتشحق المصادر لحريتها والمتكبرين عليها، كأنه ما كانت التضحيات والثمن الذي يدفعونه لتبيل الحرية هذا في عموم الثورات الإنسانية، وفي خصوص ثورتنا المصرية العظيمة فإنها تتميز على ذلك بأن ثقة الثائرين بالله وبموعوده لا حدود لها (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)، (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)، (وإن جندنا لهم الغالبون)، (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)، إلى غير ذلك من الآيات القاطعة بأن نصر الله حاصل لا محالة للمؤمنين، وأن هذا النصر وعد من الله للمظلومين (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون)، (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرته الله إن الله لعفو عموون).

قد يتأخر النصر:

قد يتأخر الحسم الإلهي لإحكام إلهية بالغة، منها: انكشاف معادن الرجال، والتمايز في الصفوف، حيث يتميز الصادقون من الكاذبين، والمخلصون من الانتهازيين (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)، ويتبين السجاعون من الجبناء المتخاذلين، والمجاهدون الحقيقيون من المدعين المعوقين الخائعين، مع ما قد يصاحب ذلك من مفاجآت مذهلة تحير أولي الألباب، فضلا عن عموم الناس، حين تتساقط كل الأقيعة عن الوجوه، وتعود المحنة خافضة لقوم رافعة لآخرين، وتكشف الشدة من بكى ممن تباكى (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) (الأנفال 42).

وقد يتأخر النصر حتى يتوحد الصف على الأهداف المشتركة، ويدرك قيمة وخطورة جهاده العظيم، وقيمة وأهمية اللجوء الكامل والمخلص لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعموا وما استكانوا والله يجب الصابرين) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ونبئنا أقdamنا وأنصرنا على القوم الكافرين) فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يجب المحسنين، ولنضع نصب أعيننا دائما هذه القاعدة القرآنية (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يعجزوا ما بأنفسهم).

الصراع جولات متلاحقة فلا تتألم:

إن المعركة مع أعداء الحق وخصوم الحرية والكرامة طويلة متعددة الحلقات والجولات، فلا ينبغي أن يأخذنا الغرور في حالة المد الثوري، ولا أن يصيبنا اليأس عند حصول الجزر، بل علينا أن نحرص على استمرار الكتلة الصلبة في حراكها المتفائل بإذن الله

قد يصيب البعض شيء من الضعف البشري، أو الإحباط الطارئ في إحدى الجولات، أو الاهتزاز أمام ضخامة الحدث وجسامة التضحيات، لكن المؤمن لا يهترئ بقيته أبدا بتحقيق وعد الله، فمع ما أصاب المؤمنين من زلزلة في الأحزاب فإنهم قالوا (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما).

قد يؤلمك أن تسمع من بعض إخوانك كلمات تدل على نفاذ الصبر، فلا تجزع لكن عليك أن تذكرهم بأن ذلك دليل اقتراب النصر (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب).

قد يزعجك أن يفعد البعض في الطريق يأسا أو إجهادا وضعفا، فلتكُن على يقين من قرب النصر (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا

وَيَسِّرْ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)، واعلم بأنَّ للنصر موعدًا حدَّده اللهُ، لا يُعْجَلُ عن مواعيدِهِ شِدَّةُ التَّأَلُّمِ ولا فِدَاةُ التَّكْلِفَةِ (حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرَّسُلُ وَطَلَّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ).

وليس بين الصادقين في جهادهم وبين النصر إلا قوَّةُ الصبر حين يشتدُّ عَضُّ الأصابع بين الطرفين (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَامُ نَصْرُنَا)، فَمَنْ كَانَ أَصْبَرَ كَانَ بِالنَّصْرِ وَالْوَفُوقِ أَجْدَرَ (وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) لِأَنَّ الْمُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ قُدْرَتُهُ فَوْقَ قُدْرَتِهِ، وَسُلْطَانُهُ أَعْلَىٰ مِنْ سُلْطَانِهِ، فَمَنْ ذَا يَقْدِرُ عَلَى تَبْدِيلِ كَلِمَاتِ اللَّهِ؟

(وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْفُرْسِيِّينَ) ما يصف متاعب الطريق وعقباته، ويؤكد ما ينتظر المؤمنين بعد ذلك كله في نهاية الطريق □

ثورتنا لها امتداد عالمي فلا تنزعج:

لا بد أن نعلم أن ثورتنا ليست ككلِّ ثورات الناس، لأنَّ ما سبَّرتُ عليها محببًا وإقليميًا ودوليًّا، بل تاريخيًا سيكون ضخمًا للغاية، ولهذا فالمؤامرة عليها متعددة الأطراف، والأمل فيها ليس أمل المصريين وحدهم، بل أمل مئات الملايين من المسلمين ومن غيرهم الذين يتابعون بأرواحهم وأشواقهم ثورتنا دقيقة بدقيقة، ويشاطروننا الدعاء والأمل، وينتظرون لحظة إعلان نجاح الثورة كما تنتظرها تماما □ ولذلك فالوعد الإلهي ليس بأي نصر، بل بنصر كبير يناسب نون العظمة (حَتَّىٰ أَنهَامُ نَصْرُنَا)، (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا) فَلَنُثِيقَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَبِسَارَتِهِ، وَلَنَسْتَمِرَّ فِي جِهَادِنَا وَإِضْرَارِنَا عَلَى إِسْقَاطِ الْإِنْقِلَابِ الْبَاطِلِ (حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ).

قد يزعجك هذا التناول من النكرات على رموز الأمة وتلك الحملة التي تُبَدِّدُ القيم وتهدِّدُ الأخلاق وتضرب الفطرة وتؤجج الأضغان والفتن، فتدرك أن من حقائق علم الاجتماع الإنساني أنه يستحيل أن يتكوَّن في ظل الاستبداد جيل محترم، أو معدن صلب، أو خلق مكافح، وهذا ما ينبغي أن يُقَوِّي من عزائمنا للاستمرار في الثورة لتصحيح هذا التشويه والمسح الذي يمارسه الرويضة تحت راية الاستبداد □

وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ:

إذا كان أهل الحق والشرعية يتألمون بسبب ما يتعرضون له من القتل والتعذيب والاعتقال والظلم والتشويه ومصادرة الأرزاق والتصديق على المعاييش والفصل من الوظائف ونحو ذلك، فإن الانقلابيين يألمون أشد الألم مما يرون من جلادة أهل الحق وصبرهم واحتسابهم الأجر من الله، ويتألمون لإحساسهم بفقدان الشرعية، ولفشلهم الذريع والفاضح في إدارة الأمور مما يؤدي لتفاقم الأزمات التي يعيشها المواطنون ويزيد من غضب الجماهير، ويتألمون للخوف الذي يقض مضاجعهم من لحظة الحساب على بحور الدماء البريئة المعصومة التي ولغوا فيها بغير حق، سواء في محاكم وطنية أو محاكم دولية، وهي لحظة آتية لا محالة إن شاء الله، ويتألمون لأن مرور الأيام يزيدهم تفككا وتصدعا، ويزيد من عزلتهم وانفصاف الداعمين عنهم، ويتألمون لأنهم يدركون أنهم إن فقدوا السيطرة على الأمور فقد خسروا الدنيا والآخرة، ولذلك يتصرفون بتوتر بالغ في المواجهة، فتزداد مظالمهم يوما بعد يوم وكل ذلك بشير بقرب سقوطهم إن شاء الله، فقد قضى الله قضاء لا مردَّ له فقال (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، وقضى سبحانه أنَّه (لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)، فهل يملك أحد أن يُبَدِّلَ كلمة الله؟.

سمع ابن عباس رضي الله عنهما كعب الأخبار يقول: مَنْ ظَلَمَ حَرَبَ بَيْتِهِ، فقال: تُصَدِّقُهُ فِي الْقُرْآنِ: (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا)، وقيل: الظلمُ ادَّعى شيء إلى تغيير نعمة وتَعْجِيلِ نِقْمَةٍ □ وقريباً نرى سقوط الانقلاب الطامح تصديقاً لوعد الله إن شاء الله □

فلا يغرنكم مُضيُّ القوم فيما يسمونه بخارطة الطريق، فهم يحاولون إيهام أنفسهم وأتباعهم بأنهم يحققون نجاحا، ويحاولون إثارة الإحباط في نفوس الثوار، ويحاولون إيهام الخارج بأن الأمور استقرت لهم حتى يعود الخارج لدعمهم، وكلها محاولات فاشلة بإذن الله، متى استمرت إرادة الصمود والثورة لدى أصحاب الحق □

الثقة والأمل سفينة النجاة:

إن أصحاب الحق يجب أن تمتلئ قلوبهم يقينا أن كل شدة إلى زوال، وأن الشدائد إذا تناهت انفرجت، وإذا تالتت تولت، وأن الله لا يغفل عما يعمل الظالمون، وأن المحنة في جوفها المنح، والعسر في طياته اليسر، وشواهد الأمور تؤكد لكل العقلاء أننا في طريقنا للنصر بإذن الله، وموقف الثورة على أرض الواقع وحراكها المستمر كفيلا بتغيير كل المواقف المحلية والإقليمية والدولية، وقد بدأ كثيرون من المحليين والمفكرين الغربيين في التعبير عن ذلك، وهاكم ما قاله بعض المحليين المحايدين:

قال المفكر العالمي نعوم تشومسكي: إن الثورة في مصر ستستمر بعد الانتهاء من الاستفتاء كما استمرت قبله □ وأضاف: من راهن على انتهاء الثورة وإخمادها بمجرد إعلان نجاح الدستور فهو كمن يتعلق بالوهم خوفا من مواجهة الحقيقة □ مشيراً إلى أن الثورة في مصر مستمرة ومقبلة على أيام حاسمة وأضاف: ما إن تمر أيام الاستفتاء وينتهي مهرجانه حتى يستعيد الثوار سيطرته على المشهد من جديد وكان شيئا لم يكن □

وقال: من المستحيل نجاح الانقلاب، والسياسي لن يكون رئيسا، وقال: إن التظاهرات يجب أن لاتتوقف لا ليلا ولا نهارا، والمطالب لا بد أن لا تتغير، الحسم للثوار، الأصوات الثائرة لا توقفها الأسلحة الغادرة، وغدا سنهني شعب مصر بإسقاط دولة العسكر، لأن مصر محصنة من السيناريو السوري، وهذا يدركه كل عسكري □

وقال روبرت فيسك: إن على الثوار أن لا يفرطوا في مطالبهم ولا يتقاعسوا في حشد حشودهم، وسيضطر الملايين من المتأثرين سلبيا بفشل الانقلاب في إدارة الدوله إلى النزول معكم، ويوما وراء يوم ستشتعل الثورة، وسيأتي اليوم الذي سيندم فيه كل ضابط شرطة وكل ضابط جيش على كل رصاصة أطلقها، وعلى كل قتيل سقط على يديه، سيأتي يوم وسيحاكم فيه المئات بل الآلاف من الضباط القتل المجرمين، وستحاكمونهم على جرائم التعذيب التي لاتسقط بالتقادم، والتي جرت على مدار عقود، منها عصر مبارك الذي اشتهر

وقال الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر: إذا استخدمنا ميكروسكوبا سياسيا وسلطاناه على الطرفين لبيان الطرف الأقوى، فلن نتعب كثيرا حتى نكتشف أن العسكر هم الطرف الأضعف، بل والأكثر ضعفاً، فالسياسة تقول: إن الطرف الأقوى هو الذي يفرض أمرا واقع بالعين المجردة، فبالخبرة السياسية سنرى انقلابا وحكما يسيطر عليه قادة الانقلاب، في الغالب يعتقد البعض أن هذا أمر واقع وقد فرضه الطرف الأقوى في المعادلة الحقيقية غير ذلك: مؤيدو مرسي وأنصاره هم من فرض في البلاد أمرا واقعا ولمدة تقترب من الخمسة أشهر، وعجزت أمريكا والاتحاد الأوروبي عن الضغط على تحالف أنصار مرسي، وعجزت دول الخليج بما تملكه من ثقل اقتصادي عن تسويق الانقلاب، وفشلت كل حملات الترويح المجانيه والمدفوعة الأجر

وقال معهد كارنيجي تعليقا على فشل الاستفتاء: من الصعب أن تنجح الحكومة المؤقتة في تخطى فصيل أقوى على الأرض من الحكومة نفسها، ووجوده في الشارع أكبر دليل على أن انتهاكات الأمن لا تؤثر فيه بقدر ما تدفعه للمضي في الحشد والتصميم على إسقاط السلطة التي عزلت الرئيس، وسجنت خصومها تحت حماية الآلة العسكرية، التي خسرت هي الأخرى رصيدها لدى الشعب، مما جعل الجيش مستهدفا من الشعب، وهذا من نتائج الانقلاب السلبية

وطالب وزير الخارجية البريطانية الأسبق اللورد ديفيد أوين الحكومات الغربية بتبني مواقف واضحة حيال الأزمة المصرية، بالتوقف عن التذبذب والتردد والبدء في فرض عقوبات صارمة ضد الانقلاب العسكري، وقال: «عادة ما تصل الانقلابات العسكرية إلى لحظة، يسقط فيها القناع عن منفيدها، وينكشف وجهها الحقيقي» وهو ما حدث بالفعل في مصر.

وهناك كثيرون غير هؤلاء من المراقبين المحايدون يرون الصورة بشكل واضح، وهي أن استمرار الثورة سيعجل بسقوط هذا الانقلاب، وفقا لكل قواعد الاجتماع ودروس التاريخ، ونزيد عليهم يقيننا التام بوعد الله للمجاهدين الصادقين بالنصر

لهذا كله ولغيره يجب أن نستمر بكل جدية في التصدي جميعا للانقلاب والاستبداد، بصورة سلمية حضارية دون عنف؛ لأن أكثر ما يعمل الانقلابيون المستبدون على حصوله هو إثارة موجات من العنف يتخذونها غطاء لممارساتهم القمعية البوليسية التي لا يجيدون غيرها، وعلينا أن نزداد مع كل حدث يقينا بحكمة الله اللطيف لما يشاء، فنقبل عليه بالدعاء والقيام والذكر والاستغفار والتواصي بالحق والصبر، جنبا إلى جنب مع الحراك الثوري المبدع والمتجدد في الشارع

والله الموفق والمستعان  
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم